

تقديم

[illegible]

بكتبخانة الأزهر

الطبعة الأولى

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله، وصلاة وسلاما على مصطفاه وآله وصحبه والتابعين وكل من اهتدى بهداه

وبعد: فلما كانت الأمم بأخلاقها والرجال بصدقها ووفائها ومحافظتها على وعدها وعهدها؛ وكان الناس مطمئنين لا يدور بخلد أحد إمكان الاعتداء على المعاهدات والعبث بالمحالفات، دون سبب معقول، أو عذر مقبول؛ حتى أراد الله أن تتمخض الأيام فترينا قيمة المعاهدات الدولية، فى نظر المدنية

الغربية ؛ وكانت الأمة الاسلامية خير من يراعى العهود. ويحافظ على الوعود. وكان الرسول الأعظم والنبي الأكرم هو القدوة الحسنة والمثل الأعلى لذلك: رأينا أن نخرج للعالم نموذجا من تلك الأخلاق الفاضلة والخصال العالية ؛ بطبع تلك المعاهدات التى عثرنا عليها أثناء بحثنا . وهى سلسلة مقالات نشرت تباعا بجريدة المؤيد إبان قيام المرحوم الشيخ على يوسف باشا بأمرها . وقد كان طلب من المؤلف وضعها بمناسبة سياسية وهو عدم احترام وتنفيذ بعض المعاهدات

فى ذلك العهد . واليوم ننشرها لتلك المناسبة نفسها . ليرى العالم مقـدار احترام المسلمين لمعاهداتهم ومحالفاتهم . وما عليه الآن الأمم الغربيـة من نقض للعهود وخلف للوعود

وقد طلبنا من حضرة مؤلفها الاذن بطبعها فأذننا جرياً على عادته فى محبـة نشر العــــلم والفضيلة

ونحن بطبع هذه المعاهدات إنمـا نقدم للناس الفلسفة السياسـية النبوية . ليقارنوا بين درجتى التقدم الفـكرى والرقى العقلى فى القرن العشرين ــــ الذى يدعون أنه عصر

التقدم والنور — وبين القرن السابع الميلادى . وليدركوا أن السر فى تلك الآداب السامية . والأخلاق الفاضلة . والشعور العالى والحرية التامة . والاستقلال العام . إن هو إلا بالتمسك بمبادىء دعمت على أسس الفضيلة الحقة . والعقلية الصحيحة

والله أسأل أن ينفع بها ويجعلها خالصة لوجهه ؟

محمد محمد عبد اللطيف
صاحب المطبعة المصرية

٥ ربيع الأول سنة ١٣٤٩
٣١ يوليه سنة ١٩٣٠

ذكرى الهجرة

«بم انتشر الاسلام . سبب الهجرة . كيف كان الخروج»

بم انتشر الاسلام ؟

كثر ما أرجف المرجفون . وافترى المفترون من أعداء الحق وتجار الزور . أن الاسلام لم ينتشر أمره . ولم ينبه ذكره . الا بقوة الحسام فى تلك الأيام . وغرضهم الصريح من هـذا الزعم الباطل . إيهام الناس أن من آمن بهذا الدين الحنيف من ذلك السلف الصالح

إنما قبله مكرها مرغماً . بعد أن أرعبته رؤية السيف مصلتا فوق رأسه « كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً »

هذا ماتلوكه ألسنة سماسرة الالحاد تضليلا بضعفاء اليقين . من المسلمين . وهو وان لم يكن الا سفسطة على العقول . وكذبا على التاريخ . لايخلو من احداث بعض التأثير لدى مرضى القلوب . وضعفاء النفوس

أجمع رواة التاريخ وثقات رجاله على أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث عشرة سنة من لدن بعثته الى هجرته . يدعو الى الله

وحده . ولم يك ثمت قتال بين الفريقين
— قريش والمسلمين — اللهم الاصنوف
الأذى وأنواع العذاب التى كانت تلحق أصحابه
مابين تعذيب للضعفاء . وهزء بالأقوياء .
وإيذائهم له بفحش الكلام

كل ذلك قد كان والنبي مثابر على تأدية
الرسالة . صابر على أذى قريش له ولأصحابه .
ممتثل أمر ربه «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ
مِنَ الرُّسُلِ»

ولطالما جاءه أصحابه وهم بمكة ما بين
مضروب ومشجوج . يشكون له

مايجدونه من صنوف التعذيب جزاء لهم على ترك الأوثان . وعبادة الرحمن . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بتطييب خاطرهم اذ لم يكن لديه أمر بالجهاد . فيقول لهم : اصبروا فانى لم أومر بالقتال .

ولما أن اشتد أذى قريش هاجر بعض أصحابه الى الحبشة . وما زال المشركون يؤذونه ومن بقى معه من أصحابه حتى أمره ربه بالهجرة إلى المدينة . فهاجر حسبما اقتضته مشيئة الله تعالى .

كيف كان الخروج ؟

لما كان اليوم الذى آذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة . جاء بيت أبى بكر الصديق فى ساعة كان لايجىء اليه فيها عادة — وقت الظهر — فلما رآه أبو بكر ماشياً . قال لمن معه : ماجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة الا لأمر حدث . ولما دخل الرسول بيت صديقه تأخر له عن سريره وأجلسه مكانه . ودار بينهما من الحديث ماياتى :—

الرسول — أخرج عنى من عندك ياأبا بكر

ابو بكر — إنمـا هما بنتاى «عائشة وأسماء»

وما ذاك فداك أبى وأمى يارسول الله ؟

الرسول — قد أذن لى بالخروج والهجرة

أبو بكر — الصحبة يارسول الله

الرسول — الصحبة ياأبا بكر

أبو بكر — ان هاتين راحلتاى كنت اعددتهما لهذا السفر وقد استأجرت عبد الله ابن أرقد دليلا على الطريق . وهـذا عامر ابن فهيرة قد وكلت اليه أمر الغذاء

الرسول — وأنا قد استخلفت علياً بمكة

ليؤدى عنى الودائع التى كانت للناس عندى ثم يلحق بنا متى أدى ذلك

أبو بكر — وقد أمرت ابنى عبد الله ان يسمع لنا ماتقوله قريش فينا نهاره ونحن فى الغار . ثم يخبرنا اذا أمسى بما يكون من شأن القوم .

ثم خرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ثم عمدا الى الغار بثور — جبل بأسفل مكة — فأقاما به ثلاثة أيام حتى اذا ماسكن الطلب ركبا متن الطريق الى

المدينة محط الرحال . وكان شعارهما فى الغار

« إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا »

فان تكن هناك غزوات فان هناك ايضا

معاهدات ومحالفات

المعاهدة الأولى

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ، إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ

معاهدة الحديبية : سبب عقد هذه المعاهدة

كان من أسباب عقد هذه المعاهدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم فى السنة السادسة للهجرة على زيارة مكة وطنه الأصلى والطواف بالبيت العتيق . فجمع

أصحـابه وخرجوا وهم بسـلاح المسافر . السـيوف فى الأغمـاد لايقصدون شرا ولا يبطنون غدراً

فلمـا أن سمعت قريش بمقدم الرسول هاجها الخبر وثارت ثائرتها . فجمعت الجموع وقررت فيما بينها أن لا يدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسـلم عنوة أبداً . وأبى الرسول الا ان يزور الحرم رغم كل مقاومة . فاناخ القوم جمـالهم . وضربوا خيامهم دلالة على أنهم لاينثنون عن عزمهم . ولمـا استقر المجلس برسول الله صلى الله عليه وسـلم

فى خيمته اشار مصرحا لصحابته بمـا فى نيته .
فقال : لاتدعونى قريش اليوم الى خطة تسألنى فيها صلة الارحام وهى من حرمات الله الا أجبتهم وأعطيتهم اياها وان كان فيها تحمل المشقة . وفى هـذا القول من تعليم الأمة وارشادها الى مكارم الاخلاق ولو كانت فى أحرج المواقف . مالا يصـدر الا من نبى كريم . أدبه ربه فأحسن تأديبه !

رسول سـلام

كانت خزاعة حليفة بنى هاشم فى الجاهلية .

فلما رأت تصميم رسول الله صلى الله عليه وسلم على دخول مكة . وعزم أهلها على صده عنها . ارادت أن تسعى بالصلح بينهما . حقناً للدماء . وتجنباً للشحناء . فقام سيدها بديل بن ورقاء فى نفر من قومه . حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه فى العدول عن تلك الزيارة بقوله :

يامحمد غورت « بعدت » عن المدينة ولا سلاح معك . فأجابه النبى صلى الله عليه وسلم : لم نقدم لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين . وان قريشاً قد نهكتهم الحرب . فان شاءوا

ماددتهم مدة نترك الحرب فيها . ويخلون بيني وبين الناس . فان أظهر الله دينى بحيث يدخله الناس ويتبعونى فيما جئت به . فان شاؤا هم الدخول فيما يدخل فيه الناس فعلوا . وان لم يظهر الله دينى فقد استراحوا من القتال . وان أبوا الذى أقول لك فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى ! « كناية عن موته »

فقال له بديل : انى أريد الاصلاح يامحمد وسأبلغهم الذى تقول

فلما أن سمعت قريش من بديل مانقله عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أبت الا نفورا .
وذهب سعى بديل هباء منثوراً

السـفـراء

سفراء قريش الى المسلمين

لما أن فشل بديل بن ورقاء فى مهمته . اخذ قومه ورحل الى بلاده . فاضطرت قريش الى انتداب سفير من قبلها . يخبر النبي بتصميمها . ويسعى فى ارجاعه عن عزمه . واختارت لأداء هذه الرسالة عروة

ابن مسعود سيد ثقيف

فلما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قاله لبديل بن ورقاء الخزاعى من قبل . اخذ السفير يثبط همته بتعظيم امر قريش فى عينه . وكان مما اشار اليه السفير فى كلامه : ان المسلمين ليسوا من قبيلة واحدة فلا رابطة تربطهم . ولذلك لايؤمن فرارهم فاجابه أبو بكر الصديق رضى الله عنه على الفور : ان مودة الاسلام أعظم من مودة القرابة

ثم انتهت مهمة هذا السفير باخفاق مسعاه

ورجوعه الى قومه ناصحا بقبول مطالب الرسول صلى الله عليه وسلم

ومما قاله لهم فى ذلك : —

يامعشر قريش ان محمدا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها . ولقد رأيت معه قوما لايسلمون لشىء أبدا . فانظروا رأيكم . ياقوم رأيت الملوك مارأيت مثل محمد . وما هو بملك وما اراكم الا ستصيبكم قارعة

ومع ذلك فلم يجد هـذا النصح من قريش أذناً واعية . ولا نفوساً تستمع القول فتتبع أحسنه

ســفير آخر من قريش

لمــا أخفق السفير الأول فى مسعاه كما تقدم البيان . اضطرت الى انتداب سفير ثان . فاختارت الحلنيس بن علقم . وكان سيد الاحابيش «القبائل المجموعة من غير قريش» فذهب الى معسكر النبى صلى الله عليه وسلم حيث تأكد أن المسلمين لم يأتوا محاربين ولا معتدين . وانمــا جاءوا زائرين معتمرين . ثم عاد الى قومه ينصحهم بمــا نصحهم به سلفه ولـكنهم لم يسمعوا له فانزوى يراقب مايكون من أمرهم . وعاقبة عنادهم

د

سفراء المسلمين الى قريش

لمـا رأى النبي عليه السلام اخفاق سفراء قريش فى مساعيهم . وضياع نصائحهم الى قومهم أرادحباً فى المسالمةأن يرسل لهم من عنده سفيرا يحذرهم البغى بغيرالحق . والعناد فيما يضرهم ولا ينفعهم . فانتدب لذلك خراشة بن اميـة الخزاعى . فانبعث أشقى قريش وقتئذ عكرمة ابن أبى جهل . فعقر ناقة السفير وهم بقتله . لولا أن تداركه بعضهم فأنقذه ورده الى قومه فلمـا رآه النبى صلى الله عليه وسلم عاد بعثمان

رضى الله عنه لانتدابه مكانه . وزوده بكتاب من لدنه . يشرح فيه الغرض من مجيئه وأوصاه أن يزور مسلمى مكة المستضعفين، معزيا ومصبرا . حتى يأتى نصر الله والفتح

لم تثن سفارة عثمان رضى الله عنه من عزم، قريش فأصرت على عنادها مقررة منع الرسول، وأصحابه من الطواف مهما كانت النتيجة . وغاية ماسمحت به أنها أذنت لعثمان وحده أن يطوف بالبيت . فأبى عثمان الا أن يكون فى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فغاظ هـذا القول قريشاً وهاج حفيظتها . فأمرت،

بسجن عثمان ثلاثة ايام حتى تنظر فى أمره . فتناقل الناس الخبر مكبراً حتى وصل معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل . هنالك قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً قائلا : ان كان حقا ماسمعنا فلن نبرح الأرض حتى نناجز القوم . البيعة البيعة أيها الناس . فتوافد الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أول من بايعه سنان الأسدى فقال له وهو يبايعه : أبايعك على ما فى نفسى . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : وما فى نفسك . قال سنان : أضرب

بسيفى بين يديك حتى يظهرك الله او اقتل .

وبايعه الناس على مابايعه عليه سنان . وفى هذه البيعة أنزل الله تعالى .

« إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » وأنزل أيضاً « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا »

فلما أن سمعت قريش بأمر البيعة . وبثبات

النبي صلى الله عليه وسلم على عزمه . خففت
من غلوائها . وخلعت ثوب خيلائها . وأمرت
باطلاق سراح عثمان . وعمدت الى استئناف
المخابرات مع المسلمين . لتاكدها أنهم قوم
يفضلون الموت على الحياة . فارسلت الى
المسلمين سفيرين من قبلها لعقد معاهدة
بين الفريقين — وهما سهيل بن عمرو العامرى
وحويطب بن عبد العزى — وكانا من عظماء
قريش وكبار وجهائها . فلما أن رآهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمين نحوه
قال لأصحابه : لقد سهل الله لكم من أمركم

هـذه قريش تطلب الصلح إذ بعثت لـكم بهذين الرجلين

فلمـا أن بدأ سهيل المقال . أخذ يضرب على نغمة سابقيه متحمساً فى الـكلام . حتى علا صوته فى حضرة الرسول عليـه الصلاة والسلام . فناداه عباد بن بشر أن اخفض صوتك عند رسول الله

وكان من حديث النبى صلى الله عليه وسلم مع هذا السفير أن سأله : لم لا تخلون بيننا وبين البيت ؟ فأجابه سهيل : والله لا يتحدث العرب أنا أخذنا ضغينة أبداً . ولـكن لك ماتريده

فى العام المقبل . نخرج من مكة وندعها لك ثلاثة أيام

فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعدل هذا العام عما كان ينويه تسهيلا لعقد معاهدة يستفيد منها المسلمون راحة وقوة . ولتكون له الحجة على قريش اذا نكثت عهدها يوما ما

المناقشة فى نص المعاهدة

ولما قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتعاهد مع قريش . دعا بكاتبه أوس بن خولة

وأمره بكتابة صورة المعاهدة. فأبى سهيل أن يكون الكاتب أحداً غير ابن عم الرسول على ابن أبي طالب. وصهره عثمان بن عفان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلى: اكتب «بِسْمِ ٱللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» فعارضه سهيل قائلا: لا أعرف هذا. ولكن اكتب «باسمك اللهم» فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وقال لعلى: اكتب «هٰذَا مَاصَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو» فأبى ذلك سهيل قائلا: لو شهدت أنك رسول الله ماصددتك عن البيت. ولا تبعتك. ولكن اكتب اسمك

واسم أبيك . فامر النبي صلى الله عليه وسلم عليآ بمحو ذلك . ولكنه أبى قائلا :

ماأنا بالذى يمحوه أبدآ . فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الصحيفة . وقال أرنيه ومحاه هو بيده . ثم التفت الى سهيل قائلا : أنا رسول الله وان كذبتمونى . وأنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب . وعلى ذلك استمر الكاتب فى كتابة المعاهدة حتى أتمها .

نص المعاهدة

«باسمك اللهم . هذا ماصالح عليه محمد

ابن عبد الله بن عبد المطلب سهيل بن عمرو العامرى . على أن تخلى قريش بيننا وبين البيت نطوف به فى العام المقبل. وأن من جاءنا منهم رددناه وان كان مسلما . ومن جاء قريشا ممن اتبعنا لا يرد الينا . وأن من دخل فى عقد محمد وعهده دخل . ومن دخل فى عقد قريش وعهدها دخل »

انتقاد على هذه المعاهدة

لما اطلع المسلمون على نص المعاهدة قالوا للرسول : أتكتب هذا يارسول الله !؟ يريدون

ان يستردوا من قريش من يذهب منهم اليها كما اشترطت قريش لنفسها حق استرداد من يذهب منها الى المسلمين . فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : نعم . فانه من ذهب منا اليهم فهذا قد أبعده الله . ومن جاء منهم الينا فسيجعل الله له بعد عسر يسراً

الوفاء بالعهد

لم يكد يتم التوقيع على المعاهدة . ويستلم كل فريق نسخته . حتى حدث حادث برهن على قيمة المعاهدات فى نظر المسلمين وقتئذ

وبيان ذلك: انه كان بمكة جماعة من مستضعفى المسلمين كما هو معلوم. فلما أحسوا بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم شرعوا يدبرون الحيل للهرب من أسر المشركين. والالتجاء الى حمى المسلمين

وأول من نجح تدبيره منهم أبو جندل «واسمه العاص» وهو ابن سهيل بن عمرو العامرى «صاحب عقد الصلح»

وكان من المعذبين بسبب اسلامهم. إذ حبسه أبوه منعاً له من الهجرة. فلما رآه المسلمون فرحوا به فرحا شديداً. واما أبوه فقد أخذه

الخنق . وملكه الغيظ من ذلك . حتى قام يوسع ابنه ضرباً ولكما . وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فتداخل فى الأمر وطلب الى سهيل أن يجير ابنه . فأبى الوالد طالبا انفاذ العهد . وهنا توسط حويطب ابن عبد العزى فأجار أباجندل . وتعهد أن يكف عنه أباه

فلما رأى أبو جندل أنه لامحالة راجع الى مكة . استغاث بالمسلمين قائلا : يامعشر المسلمين أأرد الى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ماقد لقيت !؟ فتأثر المسلمون لهذا

الكلام وأشفقوا عليه . وخاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلم أباه ثانية . فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب أباجندل : أبا جندل اصبر واحتسب . فانا قد أعطينا القوم عهوداً وصالحناهم قبل أن تأتى الينا ولا ينبغى لنا أن نغدر ولا يصلح الغدر فى ديننا . وقد تلطفت بأبيك فأبى . وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا

نتائج التشديد

ولما أن عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى المدينة جاءه فيها احـد المستضعفين من المسلمين بمكة هارباً . واسمه أبو بصير فكتبت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تطلبه وكان مما قالته فى ذلك الكتاب : لقد عرفت ماعاهدناك عليه من رد من قدم عليك من أصحابنا . فابعث الينا بصاحبنا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبى بصير : انا قد أعطينا هؤلاء القوم عهداً . ولا يصلح الغدر فى ديننا فانطلق مع رسولهم . فقال أبو بصير يارسول الله أتردنى الى المشركين يفتنوننى فى دينى !!؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : انطلق الى

قومك فانا لا نغدر . وإن الله جاعل لك من الضيق فرجا . فلما كانا ببعض الطريق نزلا للراحة . وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث فقال أبو بصير لصاحبه وهو يحاوره : أصارم سيفك هذا ؟ فأجابه الآخر نعم ثم استله من غمده وهزه فى يده قائلا : لأضربن بسيفى هذا فى الأوس والخزرج يوماً الى الليل — يريد مسلمى المدينة — فقال أبو بصير موهما انه لم يسمع : أرنيه أنظر اليه . فلما قبض على السيف غافل القرشى وضربه ضربة كانت القاضية . وكفى الله المؤمنين شر

امنيته . وكان مع هذا الرسول خادم له فلما
راى ما حل بسيده كر راجعاً يطلب المدينة
حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم والفزع
قد ملأ قلبه فقص على رسول الله صلى الله
عليه وسلم الخبر . وطلب منه الأمان فأجابه
إنك لآمن . وإذا بأبي بصير قدم على إثر
الخادم . وقال يخاطب الرسول صلى الله
عليه وسلم . وفت ذمتك يارسول الله وأدى
الله عنك . أسلمتني بيدك للقوم وقد امتنعت
بديني أن أفتن فيه . وهذا سلب الرجل فخمسه .
فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم : أما سلب

الرجل فلا حاجة لنا به لأن قبوله غدر العهد . وأما أنت فان بقيت هنا فلا بد من ردك اليهم إن طلبوك إذ لا أحب أن يرانى القوم غير وفى بالذى عاهدتهم عليه

فاضطر أبو بصير أن يغادر المدينة قاصد الشام وهناك تقابل مع من تمكن من الهرب اليه من مسلمى مكة المعذبين حتى كمل عددهم ثلثمائة . فأخذوا يقطعون الطريق على تجارة قريش مع البلاد الشامية حتى أحست قريش بما أصابها من حربهم . فخابرت النبى صلى الله عليه وسلم فى التنازل عما كانت اشترطته

فى المعاهدة السابقة راضية أن يأخذ اليه
هؤلاء المحاربين وكل من يلتجىء اليه من قريش

تعديل شروط المعاهدة

فلما شعرت قريش بما حل بتجارتها من التعطيل والكساد بسبب تعرض أبى بصير وشيعته لمصادرتها وقطع الطريق عليها فزعت إلى النبى صلى الله عليه وسلم مستصرخة به راجية أن يكف عنها ما انتابها من أبى بصير فانتدبت أبا سفيان بن حرب ليقوم بالغارة فى طلب هذا التعديل

سافر أبو سفيان وهو عمدة القوم وعميدهم قاصدا المدينة . ولما التقى برسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :

يا محمد . قريش تسألك بالأرحام الا آويت هؤلاء الذين فروا عنها ولا حاجة لها بردهم فانها قد أسقطت هذا الشرط من الصلح وقالت قل لمحمد ان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح اقراره

فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي جندل وأبي بصير أن يقدما عليه وأن يلحقا من معهم من المسلمين ببلادهم وأهليهم

وان لا يتعرضوا لعير قريش أو أحدٌ رجالها

ولما أن قدم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم على أبي جندل وصاحبه . كان أبو بصير يحتضر وفاضت روحه . وكتاب الرسول صلى الله عليه وسلم فى يده يقرؤه فقام أبو جندل بانفاذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان دفن صديقه فى مكانه وبنى عنده مسجدا حتى تحترم البقعة . وتفرقت العصابة كل إلى بلده وناسه فاطمأن بال قريش على متاجرها وهدأ روعها مما كانت تخاف وتحذر

انفاذ القسم الثانى من المعاهدة

فى مستهل القعدة من السنة السابعة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يشدوا رحالهم إلى مكة قضاء للعمرة التى لم يؤدوها بسبب المعاهدة التى عقدوها مع قريش وتمتعاً بنصيبهم من هذه المعاهدة — التى أحسنوا الوفاء بها — فتجهز الناس سراعاً وكانوا ألفين عداً سوى من تبعهم من النساء والأطفال والخدم وتقرر أن يخصص للهدى ستون بدنة قلدت — تمييزا لها — وعين على حراستها

ناجيةبن جندب . وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بحمل السلاح وعدة الحرب وبجعلها فى عهدة بشر بن سعد . وأمر كذلك باخراج مائة من الصافنات الجياد تسير تحت إمرة محمد بن مسلمة رئيس الحرس

ولما أزف الترحل أمر النبى صلى الله عليه وسلم ابن مسلمة أن يسبق بالخيل إلى مكان على حدود مكة وكانت قريش وقتئذ تتنسم الأخبار وتستنبىء السُّفَّار فانبثت روادها فى جميع السبل تترقب قدوم عسكر المسلمين ولما أشرف محمد بن مسلمة على الموضع الذى

امر بانتظار النبي صلى الله عليه وسلم فيه رأته
عيون قريش فسألته عن سبب مجيء الخيل
معه فأجاب بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصبح هذا المكان إن شاء الله تعالى فولوا إلى
قومهم منذرين قالوا ياقومنا هذه طلائع جيش
المسلمين قد أقبلت فخذوا حذركم وأسلحتكم
وانظروا ما ذا تأمرون فهاج الخبر قريشا
وثارت ثائرتها ولكن كبراءها وذوى الرأى
فيها أخذوا يهدئون ثورتها، ويخففون حدتها
بقولهم: ما أحدثنا حدثاً نفزع له وإنا على
كتابنا وعهدنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد ثم

ستقر الرأى على ان يرسلوا وفدا لمقابلة النبى صلى الله عليه وسلم والاستفسار منه عن الخبر اليقين. فقام الوفد برئاسة مكرز بن حفص ورأى فى طريقه إلى النبى صلى الله عليه وسلم الهدى مقلدا والسلاح متلاحقاً فأخذه الرعب لرؤية السلاح ولما دخلوا على النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : يامحمد والله ماعرفت بالغدر صغيراً ولا كبيرا. أتدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد أمنتهم وآمنوك. وقد شرطت لهم أن لاتدخل عليهم إلا بسلاح المسافر السيوف فى أغمادها

فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم : انا لن ندخل بالسلاح ما داموا على الوفاء . وهذا السلاح الذى ترونه سنتركه فى الخارج لنأتى به اذا حدث مايدعو اليه

فقالوا هو الذى عرفت به البر والوفاء

ثم رجعوا الى قومهم مطمئنين ومبشرين بان محمداً على عهده لن يخلفه أبداً مادلموا على الوفاء

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضع السلاح فى موضع يسمى «بطن ناجح» وترك لحراسته مائتين من الرجال تحت إمرة أوس ابن خولة . ودخل مكة عن

طريق الحجون . وأمر بخيمة فضربت فى الابطح وزينت للناظرين . وأما قريش فقد خرج بعضهم من المدينة لكيلا يروا المسلمين فى عزتهم وبقى آخرون من دونهم لم يلحقوا بهم . فدخل المسلمون وهم وقوف صفا صفا عند دار الندوة واخذ النبي صلى الله عليه وسلم فى الطواف وهو على ناقته القصواء . وأصحابه بين يديه متقلدين بالسيوف يحيطون به احاطة الهالة بالقمر . والأكمام بالثمر

وأخذ عبد الله بن رواحة ينشد وهو آخذ بزمام ناقة الرسول عليه السلام:

خلّوا بنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
خَلُّوا فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ فِي تَنْزِيلِهِ
بِأَنَّ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ
فَالْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
يَارَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ
إِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ فِي قَبُولِهِ

ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يذهب مائتان ممن أتموا الطواف فيحلوا محل

اخوانهم الذين فى حراسة السلاح ليأتى هؤلاء الى قضاء نسكهم وأقام النبي صلى الله عليه وسلم فى مكة ثلاثة أيام أسلم فيها كثير من أهل مكة فارتاعت قريش لهذا الحادث وما لبثت أن جاء عصر اليوم الثالث حتى أرسلت الى النبي صلى الله عليه وسلم سفيريها : سهيل بن عمرو العامرى . وحويطب ابن عبد العزى . ونفراً معهما . فلما دخلوا عليه رأوا على بن ابى طالب . فطلبوا اليه أن يكلم ابن عمه فى شأن الخروج لانتهاء المدة . فاعتذر على مشيرا عليهم بأن يكلموه هم فجاؤه وهو يتحدث

مع سعد بن عبادة فصاح حويطب : ناشدتك الله والعهد الا ماخرجت من أرضنا فقد مضت الثـلاث . فغضب لذلك سعد ابن عبادة . وصاح مجيباً : كذبت لا أم لك ليست بارضك ولا بأرض آبائك ! والله لا يبرح منها الا طائعا راضياً !! فتبسم رسول الله صـلى الله عليه وسلم . وقال تعليما لسعد : ياسعد لاتؤذ قوما زارونا فى رحالنا . ثم التفت الى حويطب قائلا : ماذا عليـكم لو تركتمونا بينكم أياما ونولم وليمة نأكل منهـا سويا فأجابه حويطب : لاحاجـة لنا بطعامك

ناشدتك الله أن تخرج عنا فقد مضت الثلاث فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم : انا قافلون فى المساء ان شاء الله . وأمر من يؤذن فى الناس بالرحيل . ولما رأت قبائل العرب ماأظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوفاء بالعهد والمحافظة على الوعد . رغبت فى محالفته وأقبلت على معاهدته . فتوثقت عرى المودة بينه وبين تلك القبائل حتى كان لهم فى الشدة نعم العون كما كانوا له عند الحاجة من النصراء

المحالفة الثنائية

بين خزاعة والمسلمين

وأول قبيلة تنبهت إلى ذلك فسعت فى سبيل تمكين أواصر المودة، وتوثيق عرى المحبة مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه. كانت خزاعة إذ أسرعت فعقدت مع المسلمين المحالفة التى سميناها بالمحالفة الثنائية. وهاك شرحها :—

سبب عقد هذه المحالفة

كان مما اشترط فى معاهدة الحديبية التى

شرحناها فيما سبق . أن من دخل فى عهد قريش دخل فيه . وأن من دخل فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم دخل فيه . وبناء على هذا الشرط تحالفت قريش وبنو بكر واختارت خزاعة محالفة الرسول الأمين . ومهد لها الطريق أنها كانت حليفة جده عبد المطلب فى الجاهلية . فندبت للقيام بهذه السفارة زعيمها بديل بن ورقاء فى نفر من القوم

ولما أن قدم هذا الوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرع فى المخابرة . بدا باظهار نص المحالفة التى كانت فى الجاهلية ،

فقرأها أبي بن كعب بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا نصها :—

نص هذه المحالفة

« باسمك اللهم . هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة حلفا جامعا غير مفرق الأشياخ على الأشياخ . والأصاغر على الأصاغر . والشاهد على الغائب . قد تعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد . وأوثق عقد . لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير . وحن بفلاة بعير . وما أقام الأخشبان (١) واعتمر بمكة إنسان .

(١) الأخشبان جبلا مكة : ابو قبيس والأحمر : وجبلا منى

حلف آبد لطول أمد . يؤيده طلوع الشمس شدا . وظلام الليل مدا . وان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متضافرون متعاونون . على عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب . وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معه على جميع العرب فى شرق أو غرب . أو حزن اوسهل . وجعلوا الله على ذلك كفيلا . وكفى به حميلا [1] وتم الامر بين الطرفين على تقرير هذه المحالفة وتجديد عهدها الا أن رسول الله

---

(١) حميلا : كفيلا

صلى الله عليه وسلم اشترط ان لا يعين ظالما وانما ينصر مظلوما

نقض معاهدة الحديبية

أسلفنا أن هذه المعاهدة كانت تقضى بوضع الحرب بين قريش والمسلمين الى عشر من السنين ولكن قريشا التى لم تكن تفتأ تؤذى المسلمين وتسعى فى كسر شوكتهم واضعاف قوتهم طمعا فى محوهم من صحيفة الكون أبت عليها عداوتها الا أن تلجا الى طعن المسلمين وشن الغارة عليهم بطريق المواربة والاستتار وراء غيرها .

ولما كانت بنو بكر قد تحالفت مع قريش بعد معاهدة الحديبية كما قدمنا وكانت قريش من جهة أخرى على علم بمابين بنى بكر وخزاعة — حليفة المسلمين — من العداوة الموروثة عن الآباء حتى جرت من أجسامهم مجرى الدماء عمدت الى اثارة الاشجان واهاجة الاضغان . حتى حرضت بنى بكر على مقاتلة خزاعة

ثورة بمكة

قامت بنو بكر لتنفيذ ماتآمرت عليه مع

قريش وقام فى زعامتها نوفل بن معاوية الديلمى وما زالت حتى نزلت بمـاء لخزاعة اسمه «الوتير» فالقت عصا التسيار وشرعت تتلمس سببا لاشعال نار القتال فأرسلت لذلك رجلا جعل يتغنى بهجاء رسول الله صـلى الله عليه وسلم بين بيوت خزاعة . ولمـا أن سمع الخزاعيون غناء صاحب بنى بـكر هاج خاطرهم وما لبثوا أن اندفع أحدهم الى ذلك المغنى وضربه فشج رأسه قياما بحفظ العهد فى غيبة المحالف. وكان مثل هذا الجرح فى رأس البـكرى سببا كافيا يبيح لبنى بـكر طلاب الخصام أن يرتـكبوا

من المذابح والآثام ماشاؤا وشاء لهم الانتقام وانضمت قريش سرا الى حليفتها فاعانتها بالرجال والسلاح حتى ان اشترك فى الحرب ثلاثة من عظماء القرشيين. وهم صفوان بن أمية وعكرمة بن ابى جهل. وسهيل بن عمرو «صاحب المعاهدة» هنالك حصحص الحق وظهر لخزاعة أن الفتنة والبلاء إنما صدرا عن قريش فالتجأت مهزومة الى الحرم لتتقى فيه شر هذه الفتنة. ولكن زعيم بنى بكر أبى أن يحرم الحرم رغما عن التنبيه من قومه الى ضرورة احترام الحرم وهو حمى الملتجئين

ومأمن الخائفين واستمرت نار الحرب موقدة
وقريش لاتفتأ تنفخ فى الضرام وما درت ان
ذلك منها بغى وعلى الباغى تدور الدوائر
ولما رأت خزاعة ما أصابها من حرب
بنى بكر ظاهرا . ومظاهرة قريش لها فى السر
والعلن باشتراك عظمائها فى الحرب . أسرعت
تستصرخ النبى صلى الله عليه وسلم فبعثت
اليه بشاعرها عمرو بن سالم الخزاعى — وكان
ممن أسلم من الخزاعيين . وكانوا قسمين أسلم
أحدهما عقب المحالفة مع النبى صلى الله عليه
وسلم وبقى القسم الآخر على شركه — يشكو

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بقومه من بنى بكر وحليفتها قريش فخرج يطلب المدينة وهو يتوارى من القوم خشية أن تشعر به قريش فتحول بينه وبين أداء رسالته

وصول الخبر الى النبى ﷺ

بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته يتوضأ لقيام الليل إذ سمعته زوجته يقول «لبيك لبيك نصرت نصرت» فلما عاد من متوضئه سألته عما سمعته منه كأنه كان يكلم انسانا . فأجابها : هذا زاجر خزاعة

يستصرخنى ويزعم ان قريشا اعانت عليهم بنى بكر .

وفى الغداة التقى النبى صلى الله عليه وسلم بعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها . فقال لها : لقد حدث فى خزاعة حادث . قالت أترى أن قريشا يجترىء على نقض العهد الذى بينك وبينها وقد نصرت عليها فى المواطن كلها . فأجابها : ياعائشة ينقضون العهد لأمر يعلمه الله تعالى . قالت : خير . قال : خير

وبعد ثلاثة أيام من ذلك قدم عمرو ابن سالم سفير خزاعة فأنشد بين يدى رسول الله

صلى الله عليه وسلم

يَارَبِّ انِّى نَاشِدٌ مُحَمَّدَا

حِلْفَ أبِينَا وَأبِيهِ الْأتْلَدَا

فَوَالِدًا كُنَّا وَكُنْتَ وَلَدَا

ثَمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

اِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا

وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا

وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتَ تَدْعُو أَحَدَا

وَجَعَلُوا لِى فِى كَدَاءَ رَصَدَا

فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْرًا ابَدَا
وَادْعُ عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَـدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ قَـدْ تَجَرَّدَا
انْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا
هُمْ بَيَّتُونَا « بِالْوَتِيرِ » هُجَّـدَا
وَقَتَـلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

تحقيق الدعوة

لمـا فرغ عمرو من انشاده قام رسول الله صلى الله عليه وسـلم يتمشى ذهابا وجيئة

وهو يجر رداءه ويقول: نصرت ياعمرو بن سالم . لانصرت ان لم أنصركم بما انصر به . ثم جلس قائلا : ياعمرو . فقال: لبيك . قال: فيمن تهمتكم ؟

— فى بنى بكر .

— كلها . . ؟

— لا ولكن فى بنى نفاثة «حى من بكر»

— ارجع الى قومك وقل لهم أن يتفرقوا فى بطون الأودية وسننظر فى الأمر . فرجع عمرو شاكرا .

ولما كان عمرو من مسلمى خزاعة

كانت سفارته نيابة عن مسلميها . فرأى المشركون منهــا أن لا بد لهم من سفير آخر يستغيث بحلفائهم المسلمين نيابة عنهم

فندبوا لذلك أميرهم بديل بن ورقاء . فخرج الى المدينة خائفا يترقب حذر أن تعــثر به قريش فتقتله اذ كانت قد علمت بخبر خروج السفير الأول «عمرو بن سالم»

ولمــا أن سمع النبى صلى الله عليه وسلم مقالة بديل نصحه بمــا نصح به سلفه . وهو التفرق فى بطون الأودية حتى ينظر النبى صلى الله عليه وسلم فى الأمر .

فرجع بديل الى قومه وفيما هو ببعض الطريق اذ التقى بابى سفيان بن حرب مندوبا عن قريش ليكذب خزاعة فى شكواها لدى النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يفلح فلتجديد العهد فلما التقيا قال لبديل وهو يحاوره : من أين أقبلت ؟ فأجابه بديل مغالطا : من عند خزاعة فى ساحل هذا الوادى . فقال أبوسفيان: أما كنت عند محمد . قال لا فالتفت أبوسفيان الى خدمه قائلا : انظروا بعر ناقة بديل فان يكن قد جاء المدينة فقد علف النوى «وكان من عادة أهل المدينة أن يعلفوا ابلهم نوى البلح »

فلما تبين أبو سفيان من بحثه أن بديلا ذهب الى المدينة . قال له : الآن علمت أنك شكوتنا الى محمد وها أنا مكذبك فيما قلت . ثم استحث راحلته يطلب المدينة . ولما دخلها قصد الى منزل ابنته أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . وجاء يجلس مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فطوت الفراش عنه . فأنكر عليها ذلك قائلا : أرغبت به عني ! ؟

فقالت : أما هذا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ؟

أما أنت مشرك نجس . فكيف تجلس على

فراشه وانت عدوله ؟

— لقد أصابك بعدى شر

— بل هدانى الله للاسلام . اسمع ياأبت : اما أنت سيدقريش وكبيرها فكيف يسقط عنك الدخول فى الاسلام وتعبد من دون الله حجرا لايسمع ولا يبصر ولايغنى عنك شيئا ! ؟

فسألها عن مكان الرسول عليه السلام قالت بالمسجد . فذهب مغاضبا لايلوى على احد حتى التقى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده حيث دارت بينهما محاورة

يكذب فيها خزاعة فى شكواها . ويفند عنده مدعاها . ويسعى فى تجـديد معاهدة نقضت قريش شروطها . ومزقت بيدالغدر خيوطها .

وأنى يكون للخائنين عهـد يرجى او جانب يؤمن . ؟

الصيف ضيعت اللبن

ولمـا أن سمع رسول الله صـلى الله عليه وسلم مقالة أبى سفيان قال له : نحن على عهدنا ياأبا سفيان . فأجابه أبوسفيان مغالطا : ونحن على عهدنا يامحمد

ثم طلب من الرسول عليه السلام تجديد العهد فأعرض عنه ولم يرد عليه . فذهب الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه يرجوه أن يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك فأجابه : ما أنا بفاعل . فتركه وذهب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأجابه : أنا أشفع لكم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم !

فلما يئس أبو سفيان ممن بالمسجد غادره الى بيت على بن أبى طالب كرم الله وجهه فوجده وامرأته قائمة وبين يديهما ولدهما

الحسن وهو صبي يلعب فقال : يا على إنك امس القوم بى رحما . وأدناهم منى قرابة وقد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا . اشفع لنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابه على : ويحك ياأبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر مانستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت أبو سفيان الى ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : يا ابنة محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذافيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر . فأجابته : والله ما بلغ بنى

هذا أن يجير بين الناس وما يجير علّى رسول الله صلى الله عليه وسلم احد . فعاد ابو سفيان لخطاب على قائلا : ياأبا الحسن انى أرى الامور قد اشتدت على فانصحنى فاجابه : والله ماأعلم شيئاً يغنى عنك شيئا ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك .

فقال أبو سفيان : أوترى ذلك مغنيا عنى شيئا . فأجابه على : لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك . وعند ذلك قام أبو سفيان الى المسجد فقال : أيها الناس

انى قد أجرت بين الناس . فأجابه النبى صلى عليه وسلم : انمـا أنت تقول ذلك . وكانت نتيجة هذه السفارة أن عاد أبو سفيان بخفى حنين . إذ لايلدغ المؤمن من جحر مرتين .

فلما أن رجع الى قومه غضبان أسفا . قال : ياقوم لقـد جئت محمـدا فكلمته فلم يرد على شيئاً . ثم جئت ابن أبى قحافة « أبابكر » فلم أجد عنده خيرا. ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم . ثم جئت على بن أبى طالب فوجدته ألين القوم . وقد اشار على بشىء صنعته فوالله ماأدرى أيغنينى

شيئاً أم لا ؟ قالوا : وبماذا أمرك . قال : أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت . قالوا : هل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويلك والله مازاد أن سخر على منك اجلس انك لم تأت بشىء

خروج رسول الله ﷺ الى مكة

هذا وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه بعد أن غادر أبو سفيان المدينة دعا الناس ليستشيرهم فى أمر الخروج الى الأخذ بناصر خزاعة قياما بواجب العهد فكان من رأى

أبى بكر ترك الأمر الى الرسول عليه السلام.
إذ القوم قومه . وكان من رأى عمر الحرب
إذ قريش نقضت العهد وظلمت حلفاء
المسلمين . فكان الأمر ما قاله عمر وأخذ
المسلمون فى إعداد العدة .

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم أن
لا يعلن استعداده قبل تمامه . فأمر بمراقبة
السبل وجعل رئيسهم عمر بن الخطاب رضى
الله عنه فكان يقول للحراس : لا تدعوا
أحدا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه.
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

يطلب مكة فى عشرة آلاف . فلما كان بذى الحليفة تلقاه عمه العباس مهاجرا بأهله وولده وكان فى مكة يكتم اسلامه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ياعم أنت آخر المهاجرين وأنا آخر الأنبياء أرسل بأهلك الى المدينة وعد معى إلى مكة حتى يتم أمر الله

ولما وصل الجيش إلى الظهران استأذن العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذهاب إلى القوم ينصحهم بالتسليم وترك القتال فاذن له فخرج على ركوبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يرتاب فيه الحراس

وكان الوقت ليلا والقمر منيرا فبينا هو يسير في الأراك إذ سمع صوت أبي سفيان . وحكيم ابن حزام . وبديل بن ورقاء . وكانوا قد خرجوا يتنسمون الأخبار ؛ أما بديل فقد كان خروجه ترقبا لمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه نصرة لقومه . وأما صاحباه فكان خروجهما على تخوف من قدوم المسلمين

فلما أن رآهم العباس أصاخ سمعه فسمع أباسفيان يقول لمن حوله : انى أرى نيرانا لم أر مثلها قط . وكان الذى رآه ضوء نار معسكر المسلمين . فأجابه بديل مغالطا : هذه نار خزاعة

فقطن أبو سفيان لمـا يراد وأجاب بديلا قائلا :
خزاعة اذل من ذلك . نخشى العباس تطاير
الشر بين الفريقين ان لم يتكلم فنادى مستفهما :
أبا سفيان ؟ فالتفت أبو سفيان فلم ير أحداً
بيد أنه عرف الصوت فأجاب مستفهما أيضاً
ابو الفضل؟ «يريد العباس» فأجاب نعم ودنا
منهم فقال له ابوسفيان : بأبى أنت وأمى ماجاء
بك هنا الساعة ؟ قال العباس: هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى المسلمين لقد جاءكم
فى عشرة آلاف مقاتل . فقال له أبو سفيان :
ماتامرنى به ؟ قال : اركب معى أستأمن لك

رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله إن ظفر بكم ليضربن عنقك « وكان أبو سفيان شديد الأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين »

فركب مع العباس مطية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما مر على ملأ من القوم « حراس المسلمين » تهامسوا هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابته . وما زالا يخترقان الجموع حتى مرا برئيس الحرس وهو وقتئذ عمر بن الخطاب . فلما أن عرف أبا سفيان وهو خلف العباس . قال له : أنت أبو سفيان ؟

الحمدلله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد. واشتد نحو النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره الخبر فاستحث العباس مطيته فسبقت عمر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر فى إثره يقول: يارسول الله مرنى أن أضرب عنق أبا سفيان فقال العباس: يارسول الله انى قد أجرته. وأخذ برأس رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه قائلا: لايناجيه أحد دونى فلج عمر فى الكلام. فقال العباس: مهلا ياعمر وعند ذلك أمن النبي أباسفيان احتراماً لجوار عمه. وقال: ائتنى به فى الغداة. وفى الغد

قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان: يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي يا محمد لو كان مع الله غيره لأغنى عني شيئاً. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأجابه أبو سفيان: بأبي أنت وأمي أما هذه ففي النفس منها شيء. فقال له العباس: ويحك يا أبا سفيان اشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك فأسلم وتبعه حكيم بن حزام وقفى على أثرهما بديل بن ورقاء. ثم أمر رسول الله صلى الله

عليه وسلم عمه العباس أن يقف بابى سفيان في موقف يستطيع أن يرى منه جنود المسلمين بأجمعها أثناء دخولها مكة ولما كان أبو سفيان ممن يعشق العظمة والفخر سمح النبي صلى الله عليه وسلم إجابة لطلب عمه وتاليفاً لقلب أبى سفيان بتأمين من يدخل دار أبى سفيان محتمياً به

وانتهى الأمر بفتح مكة . ولا حاجة لنا بشرحه تفادياً من الخروج عن موضوعنا

اقتفاء الأثر [1]

وقد حدث أنه لمـا خرج رسول الله صـلى الله عليه وسـلم مهاجرا من مكة إلى المدينة ومعه صديقه أبو بكر رضى الله عنه أرسلت قريش فى أثرهما الرسل وبثت العيون ونصبت الشراك وأقامت الارصاد لتحول بينهما وبين مايبغيان . وكان مما اتخذته مبالغة فى الاحتياط وحثا على القعود لهما كل مرصـد أن قررت

(١) أتينا بذلك فى هذا المقام للترتيب التاريخى لتنفيذ معاهدة سراقة وهى ختام لموضوع « كيف كان الخروج » صفحة ١٤

جائزة قدرها مائة ناقة لمن يقتل أحـدهما أو ياسره ومائتان لمن يقتلهما أو يأتى بهما جميعاً

فتلمظت لتلك الجائزة شفتا سراقة بن مالك وحدثته نفسه أن يختص بهـا دون قسيم أو شريك فاشتد فى أثر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه حتى أدركهما والرسول صـلى الله عليه وسلم يتلو بعض آيات الله فتنبه له أبو بكر رضى الله عنه ودخله الخوف فثبت النبي صلى الله عليه وسلم فؤاده بقوله « إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا » ثم دعا ربه « اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ وَكَيْفَ شِئْتَ » فساخت قوائم فرس سراقة فى الأرض ولم تقو

على مغادرة مكانها . فهال الأمر سراقة وانخلع قلبه فزعا وهلعا فترجل خشية أن يصيبه ما أصاب فرسه ونادى : الأمان يا محمد . أنظرنى أكلمك . أنا لك نافع غير ضار . وانى لا أدرى لعل الحمى فزعوا لركوبى . وانى راجع رادهم عنك . فقال النبى صلى الله عليه وسلم لصاحبه : سله يا أبا بكر . ماذا يبتغى ؟ وما عتم أن أجابه سراقة : يامحمد ان قومك جعلوا فيك الدية مائة من الابل لمن قتلك أو أسرك فادع الله أن يطلق لى جوادى ولك عهد وميثاق أن أرجع عنـــك

هنالك دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربّه

« اللّهُمَّ إنْ كَانَ صَادِقاً فِيمَا يَقُولُ فَأَطْلِقْ لَهُ جَوَادَهُ »

ولما أن نجا الجواد عرض سراقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزود من مال له ماشاء . فأبى الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : ياسراقة إذا لم ترغب فى دين الاسلام فانى لا أرغب فى إبلك ومواشيك

سراقة — يامحمد مرنى بما شئت

النبي — لاتترك أحداً يلحق بنا

سراقة — يامحمد انى لأعلم أنه سيظهر أمرك فى العالم وتملك رقاب الناس . فعاهدنى انى إذا

أتيتك يوم ملكك فأكرمنى . فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عامر بن فهيرة «دليل الطريق» أن يكتب العهد . فأبى سراقة أن يكون الكاتب غير أبى بكر فأجيب الى ما طلب . ولما أراد الانصراف قال له النبى صلى الله عليه وسلم : كيف بك ياسراقة إذا تسورت بسوارى كسرى ؟ فقال سراقة متعجبا : كسرى بن هرمز !؟ فأجابه النبى صلى الله عليه وسلم : نعم

ولما عاد سراقة الى أهل مكة اجتمع اليه الناس يسألونه عما حدث له مع النبى صلى الله عليه وسلم فأنكر فى أول الأمر الرؤيا بتاتاً

ولكنه عاد فاعترف لأبى جهل بما حدث فلامه
ابو جهل على ما كان منه فأنشد سراقة معتذرا

أَبَا حَكَمٍ واللهِ لَوْ كُنْتَ شَاهِدًا
لأَمْرِ جَوَادِى اذْ تَسُوخُ قَوَائِمُهْ
عَلِمْتَ وَلَمْ تَشْكُكْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولٌ بِبُرْهَانٍ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهْ

تنفيذ معاهدة سراقة

ولما كان عام الفتح «فتح مكة» وعودة النبى صلى الله عليه وسلم باصحابه من غزوة حنين حدث أنه بينما الجيش بالجعرانة «اسم مكان

قرب مكة» اذا بصائح يصيح : يارسول الله
وانخرط فى كتيبة من خيل الأنصار ليصل الى
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل ينادى
يارسول الله أنا سراقة بن مالك وهذا كتابى
فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أدنوه . هذا يوم
وفاء وبر . مرحبا بك ياسراقة !

هنالك أسلم سراقة وحسن اسلامه . فنال
الحسنيين . وتعلم من النبى صلى الله عليه وسلم
أن وعد الحر دين

الرفق بالحيوان

لقد رأينا أن نستطرد الى ذكر حادثة تدل على مقدار رفق النبي صلى الله عليه وسلم بالحيوان نذكرها لأنها حصلت من سراقة ساعة اسلامه وذلك أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضالة من الابل ترد حوضه الذى ملأه لابله . هل له فى ذلك أجر ؟ فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ فِى كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ . وفى هذا الحديث النبوى خير دافع للانسان الى الرفق بالحيوان

والى هنا ينتهى ما أردنا تبيانه عن المعاهدات والمحالفات على عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم

بيد أننا نرى أن يكون مسك ختام هذا الباب ذكر نوع آخر من المعاهدت وهى معاهدات الصلح التى تعقد عقب الحروب ولطالما عقد النبى صلى الله عليه وسلم مثل هذه المعاهدات حباً فى الصلح والصلح خير . دون احتياج الى استخدام السلاح . وازهاق الأرواح . حقناً للدم . وجنوحا للسلم «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ»

معاهدات الصلح

صلح تبوك

سبب عقد هـذه المعاهدة خروج النبي صـلى الله عليـه وسلم لتبوك «إحدى محطات السكة الحجازية الآن» حينما علم بتجمع جنود الروم واستعدادهم للاغارة على المسلمين. فلمـا أن وصل تبوك تسامع به عمال الدولة الرومانية فأسرع بعضهم بمصالحته على دفع الجزية وطلب الأمان لأنفسهم ولمن تحت إمرتهم من الرعية

فكتب لهم النبى صلى الله عليه وسلم عقود الصلح بذلك

وهاك نص اثنين من هذه العقود .—

نص الصلح

مع يوحنا بن رؤبة صاحب ايلة

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا منة من الله ومحمد النبى رسول الله ليوحنا ابن رؤبة وأهل إيلة . سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله تعالى ومحمد النبى ومن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن

أحـدث منهم حدثا فانه لايحول ماله دونَّ نفسه وانه لطيبة لمن أخـذه من الناس وانه لايحـل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر

نص الصلح

مع أهل جرباء وأذرح

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب محمد لأهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد صلى الله عليه وسلم وأن عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان إلى المسلمين

خاتمـــة

إلى هنا انتهى ماأورده حضرة المؤلف في مقالاته

وقد وعدنا بأن يتبع هذا بتأليف رسائل عدة على هذا النمط وسنوالى طبعها ونشرها لاظهار عظمة الاسلام وإبراز كريم الفعال وجميل الخصال التى يحث عليها الشارع الحكيم والرسول الكريم عليه الصلاة والســـــلام .

ونحن بالاصالة عن أنفسنا وبالنيابة عن سائر المسلمين نكرر شكرنا لفضيلة الاستاذ على مايبذله من جهود وثمين وقت فى سبيل العلم والدين

المطبعة المصرية بالازهر ١٠٢ / ١٩٣٠ / ٢٢٥٠